

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة : فضل عمارة المساجد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي شرع لعباده المؤمنين التقرب إليه بعمارة المساجد ، وتهيئتها للراكن والساجد ، الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قدوة العمار وإمام الأخيار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الأبرار .

عباد الله ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله جل وعلا { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن خير بما تعملون } .

أيها المؤمنون هذا شهركم قد مضى معظمه فتصرمت أيامه ، ليل يعقبه نهار ، ونهار يخلفه ليل ، فياليت شعري من المقبول منا فنهنيه ، ومن المردود فنعزيه ، ما أخرجنا إلى وقفة صادقة لمحاسبة أنفسنا فيما مضى من شهرنا ، وما ذا عسانا أن نفعل في بقية أيامنا ، فمن وجد منا خيراً فليحمد الله وليزدد ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، وليبادر باغتنام بقية أيامه .

عباد الله كل إنسان في هذه الحياة يبحث عن السعادة ، ولكن الناس يختلفون فيما بينهم في التعلق بأسبابها ، وأسبابها كثيرة ، ومنها المرأة والدار والدابة ، كما جاء في مستدرک الحاكم عن محمد بن سعد عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : "ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة فمن السعادة المرأة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطية فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق" . لذا فلا غرابة أن يتسابق الناس في هذه الدنيا بسعة الدور وتحسين مرافقها ، طلباً للراحة فيها والسعادة بها .

ولكن يا عباد الله ليس كل ملك بيتاً واسعاً حسن المرافق يكون سعيداً ، وذلك أن هذا البيت معرض للكوارث والأخطار ، مهدد بالزوال والفناء ، هذا فضلاً عما يلحق صاحب البيت من الأكدار والمنغصات ، إنه بيت وإن حصلت فيه السعادة فهي محدودة ، فالبيت مآله للخراب والدمار ، وربما مع مرور الزمن لا يصلح حتى ولو للبهائم .

إنما السعادة الحقة أيها المؤمنون هي لذلك الإنسان الذي يبنى له بيت في الجنة ، ذلك البيت الذي يسعد صاحبه ولا يشقى أبداً ، ذلك البيت الذي يحيا فيه صاحبه ولا يموت أبداً ، ذلك البيت الذي يصح فيه صاحبه ولا يسقم أبداً .

إنه بيت لا يتعرض للكواث والأخطار ، إنه بيت لا يحتاج إلى ترميم أو تحسين إعمار . ولكن كيف ذاك يا معشر المسلمين ، ليس لدينا القدرة الآن أن نصل إلى الجنة فنبنى فيها ونشيد . إنما السبيل أيسر من ذلك إنه عمارة بيوت الله ، إنه بناء مساجد .

روى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم وإني سمعت النبي ﷺ يقول من بنى مسجداً - قال بكر حسبت أنه قال يبتغي به وجه الله - بنى الله له مثله في الجنة .

وكان هذا حين أراد عثمان (رضي الله عنه) أن يوسع مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففكر بعض الصحابة ذلك رغبة منهم في إبقاء المسجد على هيئته أي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبن عثمان المسجد إنشاءً وإنما وسعه وشيده ، فيؤخذ منه إطلاق البناء في حق من جدد كما يطلق في حق من أنشأ .

وقوله: (من بنى مسجداً) هو للعموم ، بشأن الباني وشأن المسجد فيدخل فيه كل من ساهم في بناء المسجد أو توسعته ، يدخل فيه الصغير والكبير والرجل والمرأة وكل من له سهم أي كان في عمارة المسجد أو توسيعه .

وجاء في بعض الروايات في صفة المسجد (صغيراً أو كبيراً) وفي رواية أخرى (ولو كمفحص قطاة) أو ولو كانت سعته كما تفحص القطاة وهي الطائر المعروف فتضع بيضها، وحمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفي مقداره للصلاة فيه . وقيل بل هو على ظاهره والمعنى أن يزيد في مسجد قدرماً يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا القدر . أو يشترك جماعة في بناء مسجد فتقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر وهذا كله بناء.

ويدخل في معنى البناء الأمر اليسير كتحويط الأرض بالحجارة كالمساجد في طرق المسافرين ، وهو أمر لا يستهان به فهو داخل في عموم بناء المساجد وحصول الأجر المترتب على ذلك ، فبناء كل شيء بحسبه . ويؤيد ذلك ما ورد من حديث عائشة (رضي الله عنها)

قالت قال رسول الله ﷺ : "من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة قلت يا رسول الله وهذه المساجد التي في طريق مكة قال وتلك " .

ولكن يجب ان لا يغيب الشرط الهام في تحقق الأجر "يبتغي بذلك وجه الله " أي مخلصاً في ذلك عمله ، طالباً لما عند الله ، لا يريد بذلك سمعة عند الناس ولا شهرة عند أحد. عند ذلك يتحقق له الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله سبحانه وتعالى " بنى الله له بيتاً في الجنة" فيالها من سعادة وباله من فلاح _ اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل _ وأي نعيم لمن كان بيتاً في الجنة ، جاء في وصف مساكن الجنة عن الحسن قال سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية (ومساكن طيبة) فقالا على الخبر سقطت سألنا رسول الله ﷺ عنها فقال: " قصر من لؤلؤة في الجنة فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة فيعطي الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله" .

إن بناء المساجد يا عباد الله مما تحرص عليه هذه الأمة أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) طلباً للثواب من ربها، واقتداءً بهدي نبيها (صلى الله عليه وسلم) فإنه عليه الصلاة والسلام أسس مسجد قباء حين قدم مهاجراً من مكة ، ولما وصل المدينة شرع في بناء مسجده بيديه الشريفتين ، وقد عمل معه صحابته من المهاجرين والأنصار بأيديهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين ذاك يقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان هذا هو نهج الصالحين ودرب الطائعين من الأمة بعده، فهنيئاً لمن وفق ببناء المسجد، هنيئاً له ببناء بيت له في الجنة .

عباد الله إن هذا المسجد الذي نصلي فيه اليوم إنما هو ثمرة سير على هذا النهج ، ثمرة دعم المحسنين من أهل الخير وفقهم الله وسدد خطاهم ، وبارك في أعمارهم وأموالهم ، فجزا

الله خيراً كل من كل من أعان على هذا البناء بمال أو قطعة أرض أو فرش أو تأثيث أو جهد أو أي أمر آخر من حاجات هذا المسجد .

تقبل الله منا ومنهم ، وجعل ذلك في موازين حسناتهم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى بقلب سليم ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسكنهم قصور الجنة .

ونسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى لمن كان له نصيب من عمارة هذا المسجد من الأموات أن يوسع له في قبره وينور له فيه يسكنه فسيح جناته ويسر حسابه وييمن كتابه ويرفع درجته ويعلي منزلته في الجنة .

كما نسأله سبحانه لمن كان منهم حياً أن يبارك له في عمره وأن يوسع له رزقه ويغفر له ذنبه ويستر عيبه وينفس كربته ويفرج همهم ويشرح صدره ويسر له أمره ويطهر قلبه ويكشف ضره .

عباد الله إن عمارة بيوت الله من صفات المتقين ، وعلامات المؤمنين : قال تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : { إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } .

الخطبة الثانية

.....

عباد الله ، إن عمارة المساجد من أفضل الأعمال التي وصى الله عز وجل بها ، قال تعالى: { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب } .

أي يتعبد الله في بيوت عظيمة فاضلة هي أحب البقاع إليه وهي المساجد، أمر الله ووصى أن ترفع ويذكر فيها اسمه . فيدخل في رفعها بناؤها وكنسها وتنظيفها من النجاسة والأذى وصونها عن العابثين ، وكذا المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون من النجاسة وعن الكافر وأن تصان عن اللغو فيها ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

عباد الله إن هذه المساجد إنما شيدت ورفعت ليذكر فيها اسم الله ، يدخل في ذلك الصلاة كلها وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغيره من أنواع الذكر وغير ذلك من العبادات. ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين عمارة بنيان وصيانة لها وعمارة بذكر اسم الله من الصلاة وغيرها وهذا أشرف القسمين " .

أيها المؤمنون وكما أمر الشرع المطهر بعمارة المساجد وصيانتها ، فقد حذر من تخريبها وتدنيسها ، قال تعالى { ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم } . أي لا أحد أظلم و أشد جرماً ممن منع مساجد الله عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة وغيرها من أنواع الطاعات، واجتهد في وبذل وسعه في خرابها الحسي والمعنوي ، فالخراب الحسي هدمها وتخريبها وتقديرها، والخراب المعنوي منع الذاكرين لاسم الله فيها وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة.

أيها المؤمنون عمارة المساجد الحسية والمعنوية شرف كبير وأجر وفير فالله الله بالحرص عليه ، كما أن خرابها الحسي والمعنوي ذنب كبير وعمل خطير فالله الله بالبعد عنه ، واعلموا

رحمكم الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثالث بكم أيها
المؤمنون ، أمر بالصلاة والسلام على نبيكم